

## ما الذي حدث للثقة بالنفس في الجزائر؟



على الشركات الممكنة للجزائر مع ليبيا وتونس. ولطالما رأت هذه البلدان الأربعة نفسها بلدا واحدا. فإذا كانت 5 مليارات استثمارات تركية هي ما يملأ العين، فإنها ثمن بخس، لتدمير مكانة الجزائر في إقليمها الخاص. الطير الذي يشتري حريته بالسماح للصيد أن يرسل مرتزقته وشبائه إلى دول أخرى في الجوار، إنما يرتكب جريمة بحق نفسه. ولكن عندما تضيق الثقة بالنفس، يمكن حتى لبلد عزيز، فاجر، وحر، أن يتحول عاجزا ودليلا وتفقد قاعاته كلاب حراسة يجلبها أردوغان معه، ليقول لجنرالاته إنه هو الأعلى.

في تونس وليبيا يضر بمصالحنا نحن، ويشعل النيران في أرضنا نحن. لم تجرؤ المؤسسة السياسية الجزائرية على ذلك. ولكن هل تعرف لماذا؟ لأن الجزائر لم يعد لها مع مصالح مع أحد. مارست القطيعة مع شمال أفريقيا كله لتعزل ويستفرد جنراليتها بشعبهم، ويحاصروهم، من دون أن يقدموا له خيرا. ما هو جزري، في العلاقة بين المغرب والجزائر، هو أنهما قوتان كبيرتان، وهناك أسس لتوافق المصالح، كما أن هناك مشاريع مشتركة يمكنها أن تدفع بتبادلتهما التجارية وشراكتهما في مجالات التنمية إلى تحقيق مكاسب اقتصادية كبرى، توازي مئات المليارات من الدولارات، بل ربما أكثر. ولعل آخر ما يمكن لهذه المصالح أن تصل إليه هو أن تترك وراءها شروطا سياسية أو تدخلات في الشؤون الخاصة. والحال نفسه يمكن أن ينطبق

جاء؛ ولماذا لا تتدخل الجزائر لخدمة مصالحها في تونس، لحسابها هي، بدلا من أن تكون وكيلًا لمصالح طرف ثالث؟ الوجه الحقيقي للمسألة هو أن هذا البلد العزيز، الثائر، الحر، لم يعد عزيزا ولا ثائرا ولا حرا. وهو لم يخسر ثقته بنفسه، إلا عندما خسر نفسه كلها، تحت وطأة أزمات لم يعرف سبيلا للخروج منها، وتحت وطأة انحراف في الرؤية يجعله يمارس مناكفات ونكايات سياسية ليس مع جار مثل المغرب، بل ومع نفسه أيضا. والمناكفات مع النفس هي الأساس الذي وفر لجنرالات الجزائر أن يحققوا نصرا على شعبهم. المؤسسة السياسية الجزائرية تعرف كيف تفوز في الانتخابات بأقل من 20 في المئة من الناخبين، وتمسك بها نكابة بالـ 80 الآخرين. ولكنها لا تعرف كيف تقول لأردوغان، إن ما تتدخل به

إطار المناكفة والنكابة. وهذه شؤون لا علاقة لها بالسياسة. إنها شؤون علاقة مع النفس.

الجنرالات عادة ما يحتاجون دعوا لكي يبرروا فيه نزعاتهم التسلطية، وإفقايم العسكري، وهميمنتهم على الحياة السياسية، ونشر الخوف في المجتمع.

ويحاول جنرالات المؤسسة العسكرية الجزائرية أن يجعلوا من المغرب هو ذلك العدو، حتى ولو كانت الدوافع وأهية والتهامات باطلة. وعلى الرغم من أن أردوغان والأردوغانية وما تناثر على أطرافها من منظمات إرهاب، كان يفترض أن تجعل الجزائر أبعد ما تكون عن التقارب مع تركيا، إلا أنها مثل القط الذي يحب خنأته، لم تلجأ إلا إليه. لكي تتأكد نفسها بالدرجة الأولى.

ليست قضية الصحراء المغربية بين الجزائر والمغرب، هي العلة. هذا مجرد وهم مُبالغ فيه. القضية الصحراوية انتهت منذ العام 1975. ولا يزال التوصل إلى حل عقلائي لبقاها أمرا ممكنا.

وفي الواقع، فإنه حتى وإن جاز الافتراض بأنها قضية عالقة، فإن آخر ما يمكن أن يُعَلَّ هو أن تبقى مصالح الجيرة بين الدولتين عالقة

لنصف قرن. وهي مصالح من الضخامة بحيث لا يجوز، أمام المنطق على الأقل، أن تسترخص بقضية ثانوية. ذلك لأنها شيء من قبيل أن يرهن شعبان مصيريهما أمام نزاع تكفل الزمن بحله.

شيء من انحراف عصب هو ما يدفع الجزائر إلى أن تنتكر لأواصر الجيرة مع المغرب وليبيا وتونس، بينما تفتح أبوابها لمشروع أردوغان الاستعماري في المنطقة.

وهذا ليس مجرد انحراف في الرؤية. إنه دلالة على مشاعر ضعف، وقبول بالهوانة أيضا. وهو ما لا يليق ببلد بحجم ومكانة وقدرات الجزائر.

في مقابلة مع مجلة "لويوان" الفرنسية قال الرئيس عبدالمجيد تبون إن بلاده "تتمتع بعلاقات ممتازة مع الأترار الذين استثمروا قرابة 5 مليارات دولار دون أي مطالب سياسية مقابل ذلك".



علي الصراف  
كاتب عراقي

ضاعت الأرض بالجزائر، فلم تعثر إلا على تركيا لتقيم امتدادات سياسية معها. لا يوجد تفسير آخر للشغف الرسمي الجزائري برجب طيب أردوغان. وبالرغم من أن المظاهر يمكنها أن تقول إن المؤسستين السياسيتين التركية والجزائرية مختلفتان في كل شيء، إلا أن طباع الاستبداد المشتركة هي التي تفتح أبواب التفاهم. أردوغان إخواني. ويقدو حزبا إسلاميا من النوع الذي سبق له أن هدد الاستقرار في الجزائر، إلا أنه رئيس دولة جنرالات في النهاية. وما هنا يمكن المفتاح الجنرالات لديهم أيديولوجية واحدة، يمكنها أن تلبس أي قوب، إلا أنها واحدة. ولكن، كمثل التراتبية العسكرية، فليس كل جنرال، جنرال فعلا. بعضهم أعلى مقاما من الآخر.

### ليست قضية الصحراء المغربية بين الجزائر والمغرب هي العلة، هذا مجرد وهم مُبالغ فيه، القضية الصحراوية انتهت منذ العام 1975 ولا يزال التوصل إلى حل عقلائي لبقاها أمرا ممكنا

في الجغرافيا الموضوعية، تبدو الجزائر وكأنها تعيش وسط حلقة مغلقة. هناك أزمة في ليبيا، وأخرى في تونس سببها إخوان أردوغان وحلفاؤه. كما أن هناك إرهابيا في الجنوب، هو الآخر من فئار الإسلام السياسي. أما المغرب، فإنه حتى ولو مد يد التعاون، فإنها لن تقبل منه. في حالة استعداد تستعصي على الفهم، إلا في

## احتفاء الموالاة والمعارضة في مصر بطالبان

العرب  
أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول  
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير  
مختار الدبابي  
كرم نعمة  
منى المحروقي  
مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة اليعقوبي  
تصدر عن  
Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778  
الإعلان  
Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk  
www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk

ويوفر المؤيدون دعما جديدا للمؤسسة العسكرية المصرية التي تلعب دورا كبيرا في الكثير من مناحي الحياة المدنية يثير تحفظات البعض، ومن المرجح أن تتراجع ملامح التحفظات أمام الدور الوطني الذي تقوم به هذه المؤسسة في الدفاع عن الدولة ومؤسساتها والمخاوف التي تنتاب أي تراجع، فقد بات الجيش الجهة المؤتمنة في نظر الرئيس عبدالفتاح السيسي ويسند إليه جميع المهام الحيوية العسكرية والمدنية. تستمر حزمة المغارات والشد في رزمة الحسابات بين المؤيدين والمعارضين في مصر حتى تصل إلى مستوى حاد من التجاذبات، حيث يسعى كل فريق من جانبه لتعزيز مكانته على خلفية النتائج التي حدثت في أفغانستان دون اعتداد بالأجواء العامة التي قادت إلى هذه النتيجة التي لا تزال تنتظرها أطوار غير معروفة، والنظر إليها على أنها قيمة مضافة للرؤى التي تتحكم في توجهات كل فريق.

قلبت طالبان توازنات إقليمية ودولية عديدة، وربما تكون تحولاتها الخطر في مصر والدول التي تعيش ظروفها مماثلة لأن ثمة معطيات يبني عليها المؤيدون والمعارضون مواقفهم وتحركاتهم للاحتفاء بنصر هذه الحركة سوف تنعكس تلقائيا على المجتمع المدني الذي يعاني من اختلالات بنيوية في مصر أرخت بظلال سلبية على دوره المركزي في معادلة الحكم والمعارضة. أدى غياب أو تغييب المجتمع المدني عن الحياة السياسية إلى نمو تيار المؤيدين للتوسع في دور المؤسسة العسكرية بمصر وطرقها مجالات مختلفة بعيدة عن الأدوار التقليدية للجيش، لاسيما أن المهام التي توكل إليها تحقق نجاحا لافتا.

وأدى أيضا إلى تزايد دور القوى المتشددة التي قد يجدوها الأمل في الحصول على دعم جديد من الخارج لمقاومة أجهزة السلطة الحاكمة بعد أن تكبدت خسائر كبيرة في العاملين الآخرين على يد الجيش المصري، ومن هنا يمكن فهم القسامة الواضحة لحالة السعادة الطاغية بحركة طالبان بين الموالاة والمعارضة في مصر.

سعيد وبدت مستسلمة لها، بينما انتصرت طالبان بالقوة على خصومها، الأمر الذي تحول إلى إنشادة كبيرة كان ما حققته الحركة أعاد الاعتبار لكل القوى الإسلامية وعليها أن تضي في الطريق ذاته.

### تثمين نصر طالبان يقود إلى المزيد من المقالدة في التوجه نحو التطرف واللجوء إلى توظيف القوة الباطشة في مواجهة الأنظمة الحاكمة كسبيل مضمون يمكن أن يصعد بالإسلاميين إلى قلب السلطة

يقود تثمين نصر طالبان لدى المعارضين أيضا إلى المزيد من المقالدة في التوجه نحو التطرف وللجوء إلى توظيف القوة بكل معانيها الباطشة في مواجهة الأنظمة الحاكمة كسبيل مضمون يمكن أن يصعد بالإسلاميين إلى قلب السلطة.

ويرى هذا الفريق أن كسب المباراة عبر تراكم النقاط لن يكون مفيدا والدليل أن طالبان التي رفعت شعار القوة وطبقتهما حققت هدفا في النهاية، وعندما دخلت في مفاوضات مع واشنطن في الدوحة أو قدمت تنازلات لخصومها المعلنين والمستترين قامت بذلك بحكم المواقف السياسية الضرورية والتقية أو النضج في التعاطي مع الظروف.

سلام معها منذ حوالي أربعة عقود، ولم ينس هؤلاء أن التحديات الإقليمية المتزايدة وزيادة الجاهزية القتالية. ولعل في تصوير المشاهد الجنائزية المتتابعة في الحقيقة وما قدمته السينما والدراما في مصر الكثير من المضامين التي تؤكد العقيدة الوطنية، حيث جسدت المعارك التي دارت بين عناصر من الجيش المصري وقوى إرهابية في سيناء وحصيلتها البالغة من الضحايا، ضباط وجنود، أن الدفاع عن الأرض لا يختلف عن العرض.

أما الفريق الثاني (المعارضون) فقد جاء احتفاء القوى الإسلامية في مصر بانتصار طالبان من وازع ديني حمل رسالة تشبه رد الاعتبار لفكرة الجهاد الشائعة في أدبيات المتطرفين، والتقليل من قيمة استخدام الديمقراطية كوسيلة للوصول إلى الحكم، والتي تبنتها جماعة الإخوان في مصر بغرض التسلل إلى السلطة والسيطرة على مفاصلها. لجأت بعض الشخصيات المحسوبة على هذا التيار، مثل الناشطة اليمينية توكول كرمان، إلى استخدام إسقاطات سياسية ذات مغزى على الحالة التونسية، إذ انحنت حركة النهضة للإجراءات التي أصدرها الرئيس قيس

بعد الغزو الأميركي لأفغانستان في 2001 ثم العراق في 2003، وتأكد أن الجيوش الوطنية لا تغير عقائدها القتالية. تعدمت طبقة الموالاة للنظام المصري الرضاء لحال الجيش الأفغاني الذي انفقت الولايات المتحدة نحو 88 مليار دولار لتسليحه على مدار عقدين عندما فر من أمام ميليشيات تملك أسلحة بدائية، كشفت عدم وجود قيم وطنية ترغم الجيش للدفاع عن الدولة وهيكلها، وهو ما بذلت المؤسسة العسكرية المصرية جهودا على مدار عقود طويلة لترسيخها وصهر الفوارق بين الطبقات الاجتماعية فيه، والعمل وفقا لتراتبية صارمة تتبعها الجيوش النظامية التي يتم تشكيلها بموجب عقيدة وطنية محددة. لذلك يعتبر داعمو هذا الاتجاه أن انتصار طالبان عزز مكانة الجيش المصري ومنحه ميزة نسبية جديدة حاول بعض معارضيه طمسها بشتى الطرق من خلال التشكيك في عقيدته العسكرية أو تغييرها بما يجريها إلى ناحية غير وطنية. وانتبه إلى هذا الأمر كبار القادة في الجيش المصري مبكرا، بما جعلهم يعيدون بناء قدراته القتالية بأنفسهم ولا يستسلمون لحالة الاسترخاء التي سادت مع إسرائيل عقب توقيع اتفاقية



محمد أبو الفضل  
كاتب مصري

تحول انتصار طالبان في أفغانستان ودخولها كابول قبل أيام إلى حدث مهم على مستوى العالم، فرض نفسه على اهتمامات الناس بحكم تأثيراته المتعددة وعبره ودروسه المتباينة، لكن في مصر أصبح حدثا استثنائيا. فهذه من المرات النادرة التي يجتمع فيها المؤيدون للنظام الحاكم والمعارضون له من القوى الإسلامية على شيء واحد، وهو طالبان التي باتت في خيال كل طرف تمثل قيمة معنوية مهمة. تختلف تفسيرات وتبريرات فريق المؤيدين عن المعارضين بالطبع، فالأول يحتفي بأهمية الدور الذي يلعبه الجيش المصري في توفير الأمن والاستقرار وصلابة عقيدته الوطنية الواضحة التي فوتت الفرصة على محاولات اختراقه من الداخل وحرف مهمته من جيش نظامي يدافع عن الدولة إلى جيش تنحصر مهمته في مكافحة الإرهاب وجره لشن حروب خارجية في هذا الإطار. أخفقت هذه المحاولة التي جرت تفاصيلها في العقد الأخير من حكم الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك،

